

إضاءات نقدية (فصلية محكمة)

السنة الخامسة - العدد التاسع عشر - خريف ١٣٩٤ ش / أيلول ٢٠١٥ م

صص ١٤٦ - ١٣١

## الأنا والآخري في رواية "ثريا في غيبوبة" لإسماعيل فصيح

فاطمة كاظم زاده\*

### الملخص

رواية "ثريا في غيبوبة" لإسماعيل فصيح من الروايات المعاصرة التي عُرضت فيها فترة مهمة من حياة إيران السياسية والتاريخية (في الثمانينات)، وأشار إلى حضور "الآخر" فيها. و"الآخر" بالنسبة لـ "الأنا" أو "الذات" الإيرانية - في مجتنا هذا - هو كل من لا يحمل الهوية الإيرانية. وتم الاعتماد على المنهج التحليلي مع محاولة لتبيين شروط التعبير عن "الآخر"، ومنظومة قيمه، ومظاهر ثقافته، وطرائق حياة الشعوب، والدين، والمعتقدات، واللباس، والعادات، والتقاليد... إلخ قدر الإمكان.

لقد كُثرت صورة الآخر سواء الغربية منها أو الشرقية في رواية "ثريا في غيبوبة"؛ حيث نلاحظ فيها صورة مشوهة للآخر الأمريكي. وأما بالنسبة لفرنسا فمع أنها بلد أوروبي إلا أنها كانت تتمتع بصورة موضوعية في أذهان شخصيات الرواية. لقد رسم فصيح في الرواية صورة سلبية للعرب والأتراك. و"الأنا" التي تتجلى في شخصية (ثريا) المعنى عليها، تشير إلى حالة إيران إبان الحرب المفروضة.

الكلمات الدلالية: صورة الآخر، الذات، فصيح، رواية، ثريا.

\* أستاذة مساعدة للغة العربية وآدابها بجامعة علوم ومعارف القرآن الكريم، طهران، إيران  
kazemzadeh@qurqn.ac.ir

التنقيح والمراجعة اللغوية: د. جميل جعفرى

تاريخ القبول: ١٣٩٤/٦/١١ ش

تاريخ الوصول: ١٣٩٣/٢/١٢ ش

## المقدمة

بدأ الاهتمام في العقود الأخيرة بأحد فروع الأدب المقارن، وهو علم دراسة الصورة الأدبية (أو الصورولوجيا: *Imagologie*) وقد شهد هذا العلم ازدهاراً ملحوظاً بسبب مناخ التعايش السلمى الذى بدأ يظهر لدى أغلب الدول، والميل إلى التفاهم والتقارب الذى حلّ محلّ الحرب والصراع. (عبود، ٢٠٠١م: ٤١٨؛ وعبود، ١٩٩٢م: ٣٧١) وتعنى الصورة فى بحثنا هذا الصورة الذهنية والقومية التى تُقدّمها الرواية للشعوب الأخرى.

إن دراسة التمثيلات الأدبية للآخر، ومواجهتها بتمثيلات الذات تشكّل منحىً جديداً ومثمراً فى الدراسات النقدية، وتشكّل فى الوقت نفسه مساهمة قيّمة فى حوار الثقافات. (عبود، ٢٠٠٣م: ٣٣) ونظراً لاختلاف مفهوم "الآخر" باختلاف وجهة النظر فلسفية كانت أم نفسية، سوسولوجية أم دينية، سياسية أم تاريخية، فإنه سوف يتم الاعتماد على وجهة نظر محددة فى هذا البحث، وهى وجهة نظر سياسية-تاريخية.

يسعى البحث فى ضوء هذا المفهوم أن يدرس صورة "الآخر" فى رواية "ثريا فى غيبوبة" للروائي الشهير إسماعيل فصيح، حتى يكون البحث خطوة لتبيين صورة الآخر الأجنبي، ومن ثمّ الوصول إلى فهم كامل للهوية الإسلامية والإيرانية فى فترة هامة من تاريخ إيران، وهى إبان الحرب المفروضة.

ويرمى البحث من خلال الدراسة أن يظهر أنواع "الآخر" فى رواية "ثريا فى غيبوبة"، كما يبرز كيفية تفاعل "الأنا" مع "الآخر"، ويحاول أن يكشف مجمل الأفكار والقيم التى تشكّل وجدان الشعب الإيراني. يوجّه الكاتب نقده إلى الذات الناظرة فى بعض الأحيان، ويرسم صورة الآخر الغربى والشرقى عبر الحديث عن الأبطال الأجنبيين، وهو يجد سلوكهم وتصرفاتهم أحياناً وينقدهم أحياناً أخرى. وفى النهاية سيسلط البحث الضوء على موقف الراوى تجاه الآخر الإنكليزى والفرنسى والتركى والعربى؛ هل هو يختار الموقف الإيجابى أم السلبي، أو يقف فى موقف التوازن والتعادل بين الذات والآخر؟!!

وغنى عن القول، أنّ صورة "الآخر" فى الرواية والقصة قد عولجت باتساع، كموضوعات وأفكار وعلاقة سياسية واجتماعية واقتصادية. فقد عنى باحثون كثيرون

بالتجليات الروائية والقصصية لعلاقة الذات الشرقية بالآخر الغربي والأوروبي. ولكن هذا النوع من الدراسات في الأدب الفارسي هو جديد إلى حد ما. والقصة والرواية الإيرانية لم تعالجا من حيث صورة "الآخر" إلا في كتب ومقالات معدودة ومنها: "صورة العرب في الأدب الفارسي" لجويا بلندل سعد و"في المرأة الإيرانية؛ صورة الغرب و الغربيين في القصة الإيرانية" لمحمد رضا قانون پرور، ومقالة "صورة الذات والآخر في رواية سووشون" لفاطمة كاظم زاده وليلا قاسمي... إلخ. كما لا نستبعد وجود دراسات نقدية حول رواية "ثريا في غيبوبة"، رغم ذلك يمكن القول إن الدرس النقدي المقارن لهذه الرواية لم يتناوله باحث حتى الآن.

### أهمية البحث ومسوغاته

الهوية ووعي الذات من أهم الموضوعات التي شغل بها المفكرون في عصرنا الحديث. وهذه الذات لديها توأم لا يفترق عنها، ولا يمكن معرفتها من دونها؛ ألا وهو "الآخر". وبما أنّ "الأنا" حين تنظر إلى "الآخر" لا تنقل صورته فحسب؛ بل تنقل صورتها الذاتية أيضاً، وما نريده من مفهوم الصورة كلّ صورة تنبثق عن إحساس مهما كان ضئيلاً بالأنا بالمقارنة مع "الآخر"، فالصورة هي تعبير أدبي أو غير أدبي عن انزياح ذي مغزى بين منظومتين من الواقع الثقافي (انظر: باجو، ١٩٩٧م: ٩١) أي: «الصورة عرض لواقع ثقافي يستطيع من خلالها الفرد أو الجماعة الذين شكلوها أن يكشفوا أو يترجموا الفضاء الثقافي أو الأيديولوجي الذي يقعون ضمنه.» (كاظم، ٢٠٠٤م: ٦٣)

إذن، دراسة صورة "الآخر" ضرورة لتوجية الانتباه إلى التحديات التي تواجه هوية "الأنا" الثقافية التي ظهرت منذ نهاية القرن العشرين حتى الآن، وقد باتت العولمة تشكل تهديداً للهوية الثقافية للأنا؛ ولا يمكن مواجهة هذه التحديات بالصدام مع الغرب و"الآخر".

ويبقى واضحاً من بين الأجناس الأدبية أنّ الفن الروائي يُعنى بنقل وجدان الواقع أكثر من كل الأجناس الأدبية الأخرى. فالرواية هي جنس أدبي يفسح المجال لمعرفة هذه الصورة من خلال صراع الشخصيات مع ذاتها من جهة، ومع ما يعرف بالآخر

الخارجي أو الأجنبي من جهة أخرى.

«أما اللقاء بين "الأنا" و"الآخر"، فإنه يشكّل قضية فنية أدبية؛ فقد كان لهذا اللقاء تأثيراته الكثيرة ولاسيما في الأدب ليكوّن بالنتيجة موضوعَ الدارس المقارن.» (مجموعة من المقارنين الفرنسيين، ١٩٩٩م: ١٤٧)

ولذا وقع الاختيار على رواية "ثريا في غيبوبة" من بين الروايات الإيرانية؛ لأنها تتناول الأحداث والوقائع التي جرت من خلال الحرب المفروضة (من جانب العراق ضد إيران)، وتشرح ما فعل الآخر العدو (الآخر الغربي أو الآخر الشرقي) ضد البلد. والرواية تبحث عن جذور المشاكل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تعانيها البلد، كما تشير إلى حياة المهاجرين من إيران والمغتربين الذين تركوها في غيبوبتها أثناء الحرب، ورجّحوا العيش في ضل المجتمع الغربي (فرنسا).

### منهج البحث

لقد أعتد في هذه الدراسة على المدرسة الفرنسية أي علاقة التأثير والتأثر والبعد التاريخي، كما كان الاهتمام والتعامل بالبعد الجوهري والأساسي للأدب، أي مع بنيته الجمالية، كما استعانت بالمدرسة السلافية أو المادية الجدلية في دراسة المضمون والنمط في رواية "ثريا في غيبوبة" بحسب الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية لإيران من خلال الحرب المفروضة.

إنّ الصورة المقصودة في بحثنا هذا هي الصورة الذهنية والقومية التي تُقدّمها الرواية للشعوب الأخرى، وقدرة الرواية على التمثيل، وعرض الصورة بنجاح، مدينة بكونها صادقة. وبالمجمل، الصورة تعبر عن صاحبها وأغراضه أكثر مما تعبر عن حقيقة "الآخر". (انظر: كاظم، ٢٠٠٤م: ٤٧)

### دراسة موجزة عن الرواية

"ثريا في غيبوبة" رواية لإسماعيل فصيح، يسرد أحداثها بلسان إحدى الشخصيات (السادد المشارك). تبرز الرواية أحوال إيران إبان الأسابيع الأولى للحرب، وتبيّن

بعض حقائق الحرب العراقية-الإيرانية، وتشرح ما يعانيه المنفيون الإيرانيون من مشاكل في "باريس"، وانفصالهم الفكري والوجداني عن أمّتهم. وعنوان الكتاب يشير إلى غيبوبة إيران أثناء الحرب!

تعنى الرواية بمسائل عدة منها: شرح ما حدث للرهائن الأمريكيين في إيران، وأحوال الطلاب، والمثقفين، والرأسماليين، والمناضلين السياسيين الإيرانيين في "باريس". وتقرن الرواية بين أوضاع إيران المتفجّرة والمنكوبة، وأحوال العالم خارجها، ولاسيما فرنسا حيث يسودها الأمن والرفاهية.

بطل الرواية هو "جلال آريان"، الذي يسافر من إيران إلى فرنسا في زمن الحرب بين إيران والعراق، ليلتحق بابنة أخته التي تصاب بالغبوبة إثر حادث التصادم، وهي راقدة الآن في مستشفى بـ"باريس". يخطو "جلال" خطواته إلى عالم منفصل تماماً عن المشاكل والمصائب الإيرانية. يعيش الناس في "باريس" في جوّ هادئ من دون أي اضطراب، ويسيرون في شوارع فارغة من المارّة؛ في حين تجري في إيران مذبحة عامة للنساء، والرجال، والأطفال الأبرياء، والمدن الإيرانية واقعة تحت قصف المدافع والطائرات العراقية. كان هدف "جلال" من سفره إلى "باريس"، زيارة "ثريا" كما يبدو، ولكنّ القارئ يفهم مباشرة بأن الحكاية شيء آخر. لذا نراه أثناء إقامته، بين حين وآخر، يقوم بمطالعة كتاب "كلاب الحرب (Dogs of War)" لفردريك فورسايت. يتطرق هذا الكتاب إلى استثمار جماعة من العملاء الدوليين في جمهورية زنجبار. وغرض الكاتب من ذكر هذه الرواية الأجنبية متزامناً مع روايته الأصلية، المقارنة بين إيران وزنجبار لوجود التشابه بينهما، فمناجم النفط متوفرة في إيران، كما هي ذخائر الذهب الأبيض في زنجبار، أمّا محاولة البلدان الأجنبية لامتلاك ثروات البلدين، فهي قائمة على قدم وساق.

«أتيت هنا وإني في خضمّ أكبر تحولات مصيرى ومصير عشيرتى وقومى. أبكى بالعربية. اللغة الفارسية لا تسعف آلامى... أنا في زنجبار...؛ أنا في مركز طوفان واقعى الذى لم يخترع من أجله حتى الآن لغة ولا يأبه أحد! أنا في أواخر القرن العشرين، في

بداية عهد التشتت والضياع. وفي زنجبار يرسمون الخرائط الجغرافية على رمال شاطئ البحر، ويكتبون التاريخ بلعاب الميّت. في زنجبار تسير التقاويم والساعات إلى الوراء... « (فصيح، ١٩٩٥م: ٤٢٨)

يعتقد فصيح بأنّ الفوضى الموجودة في البلدين (إيران وزنجبار) تسببها البلدان الغربية. لكن المسألة الرئيسة هي لغز المثقفين الإيرانيين، ولاسيما الذين تركوا إيران لكي يعيشوا في أوروبا وأمريكا. ينقسم هؤلاء المثقفون إلى قسمين بالنسبة لما يحدث في إيران.

القسم الأول: هم الذين لديهم اتجاهات مواطنيهم الثوار نفسها، ويشيدون بـ"الأنا" المقاوم بصورة إيجابية. والقسم الثاني: هم الذين يعكسون صورة سلبية للأنا، وصورة إيجابية للغرب عبر استسلامهم، ويشعرون أنّ الغربيين متقدمون علمياً وتكنولوجياً، وأنّ لديهم جميع ما يحتاجه الإنسان للحياة المريحة والحديثة:

«أشكال مختلفة منهم من كان موجوداً بفرنسا قبل الثورة، بعضهم هرب وقت الثورة وبعدها، وبعض آخر هربوا بعد الحرب. يتكاتف جمعهم هنا. ومجموعتان أخيرتان محتالون... بينهم كل تافه وكل دون!» (فصيح، ١٩٩٥م: ١٧٦)

يظهر في رواية فصيح شيثان متضادان، الأول: التضاد والتباين بين "جلال آريان" والجيل الضالّ أو المهاجرين المرفهين الذين يتأوّهون بأهة الغربية. وهذا الأمر متوفر في نصّ الرواية: «املاً الكأس... فليس في وادي الخراب هذا شراب غيره، ينقذنا من حالنا المهدم.» (فصيح، ١٩٩٥م: ١١٣) والثاني: التضاد بين التنوعات، والهدوء، والعشق، والمحبة الحاكمة بجوّ "باريس" مقابل مدينة "آبادان" أيام الحرب: «آبادان" والنيران، "آبادان" والدماء وقذائف الهاون التي شرّدت الكلاب والقطط من المدينة أيضاً.» (انظر: حنيف، ٢٠٠٧م: ٨٠)

## الآخر

انقسم الأدباء والمثقفون في نظرهم إلى الآخر (بمعناه العام) إلى قسمين: قسم منهم صار مقلّداً للتيارات الغربية وهو ما نراه في التيارات الفكرية التي تهدّد أسس أدبنا

وتزلزل قيمه؛ وقسم آخر وقف ضد التيارات الغربية، وهذا أيضاً نتيجة انهياره بالآخر. وفي بعض الأحيان يهرب الأديب بخياله إلى الغرب، فهو يودُّ الهروب من مجتمع متأخر تقنياً، وإدارياً، واجتماعياً. وقد تنبع صورة "الآخر" من تناقض حضارى، أو سياسى بين الأمة التى ينتمى إليها الأديب، وأمة أو أمم أجنبية. (عبود، ١٩٩٢م، ٣٧٦) هذا البحث يمهّد الأراضية لدراسة "الآخر" فى رواية "ثريا فى غيبوبة"، ومن ثم الوصول إلى مواقف الراوى - وهو ممثل للذات الإيرانية - تجاه هذا الآخر الأجنبى.

### صورة الآخر الفرنسى فى الرواية

يرسم الراوى صورة فرنسا لدى بعض مثقفى إيران الذين كانوا ملتزمين بالثورة والجمهورية الإسلامية، ويتجلى نموذج هذه الجماعة فى "قاسم يزدانى"، وهو طالب فى قسم الكيمياء الحيوية فى مرحلة الدكتوراه بجامعة "باريس". يعدّ "يزداني" الغربَ ذليلاً وحقيراً، ويريد أن يأخذ منه العلوم والتكنولوجيات فحسب، ولا شيء آخر. هكذا يريد الكاتب أن يرينا وجهة نظر "الأنا" بالنسبة للآخر الغربى. يتحدث "يزداني" فى حوار مع "آريان" عن الفرق بين التطور العلمى والفساد، ويرفض ما فى فرنسا، ويقول:

«إن الإسلام لا يخالف العلم، وإنما لا يخالف غير الفساد والفحشاء ... ونحن سوف نظل نقاتل حتى يتوارى الكفر من العالم.» (فصيح، ١٩٩٥م: ٢٨٤ و٢٨٨)

يحاول الكاتب أن يحافظ على وجهة نظره الموضوعية بالنسبة لفرنسا، وإذ نقدها من جهة، أشاد بها من جهة أخرى. ويرى الراوى "باريس" أفضل مكان للعيش ويقول:

«يبدو أن كل سكان العالم ينسلون من كل حذب وصب داخل باريس. وباريس للجميع فى نهاية المطاف. ويأتى أخيراً إليها كل متعب وعاجز وطريد ومن أى مكان، ولا يغادر باريس أحد قطّ، لو كان عاقلاً، إلى أى مكان.» (فصيح، ١٩٩٥م: ١٩٤-١٩٣)

إنّ مشكلة المثقفين الإيرانيين التى يوضّحها فصيح فى روايته هذه، هى فى الحقيقة مشكلة الشعب الإيرانى كله. وهذه المشكلة هى اللغز نفسه الذى يحاول الإيرانيون أن يحلّوه عبر مواجهاتهم الأولية مع الغرب فى القرون الأخيرة. إنّ صورة أو صور الغرب والغربيين التى تظهر فى الروايات والقصص، تؤثر فى صعوبة حلّ هذه المشكلة، وتزيد

الحيرة، فأعجاب الإيرانيين بالآخر لغز ومعضلة معقدة، وفي الوقت نفسه هو أمر بسيط؛ إذ يجد الإيرانيون التقدم والتطور الغربي، ويحسدونهم عندما يقارنون مجتمعهم بالمجتمعات الغربية. هم يعانون من إحساسهم بالاحتقار أمام الغرب، ولذا، فهم حينما يتوقفون عن غرورهم، ويتعاملون مع الغرب ليستفيدوا منه في العلم، فإنهم يدركون بأن هذه الصفة ستأخذ منهم هويتهم وقيمهم التقليدية. إذن يصف فصيح هؤلاء المثقفين بـ"الجيل المنسي"، وهذا وصف يُعمَّم على جميع الإيرانيين الذين فقدوا قيمهم وتقاليدهم أمام الغرب من دون أن يأخذوا منه شيئاً ثميناً. (انظر: قانون پرور، ٢٠٠٥م: ٤٤) وهذا الأمر أكده الكاتب في إيضاح كيفية حياة أبطال الرواية (مثل حكمت وبارسى بور و...) الذين هاجروا إلى باريس للنيل على حياة أكثر ترفاً وتقنية، ولكنهم ضيعوا أنفسهم كما فقدوا آمالهم البعيدة.

### صورة الآخر الأمريكي في الرواية

يشير الراوى في المشاهد النهائية من رواية "تريا في غيبوبة" إلى صورة "الآخر" الأمريكي الذى يتجلى في امرأة سوداء، جاء والدها من "نيويورك" إلى "باريس" على أمل الحصول على حياة أفضل وأسهل مما كان عليه. لكنهما لم يحظيا بشيء سوى الوحدة، والانعزالية، والعزلة. تتقرب هذه الشخصية من "جلال" لمساعدته، ولكنها تختفى بعد مرافقته ليوم واحد. وفي نهاية المطاف يظهر له بأنها كانت سارقة، وسرقت كل نقود "جلال". وهكذا، تسربت إلى الرواية النظرة السلبية للسود الأمريكيين وتصرفاتهم اللاأشعرية واللاعرفية. ومن الممكن أن نستنتج بأن الغربة هى السبب فى التصرفات السيئة للناس، ولا علاقة لتصرفاتهم بالعرق أو الجنسية.

تبرز فى الرواية صورة أمريكا ممثلة الاستعمار الجديد خليفة إنكلترا:

«الممارسات التى كانت الإمبرالية الإنكليزية تقوم بها أوائل هذا القرن وقت سيطرتها، وإمبراطوريتها، تقوم بها الإمبرالية الأمريكية... وعاد الاستعمار يفرض نفسه على البلاد. قامت إنكلترا بهذه الممارسات سنوات طوالاً ثم أفأقت... ثم فعلت أمريكا

الأسلوب نفسه بعد ذلك بفترات، ربع قرن أو أكثر بقليل. أى أن أمريكا تبحث عن جماعة صغيرة من الهيئات الحاكمة، وعن طريقتهم -مثل كابوكى ومثل الشاه ومثل سوموزا- تنفذ مخططاتها، وتتعب الشعوب تعباً تاماً. بعد هذا ما الذى نفعله؟ الثورة والحرب والموت لأمريكا ... سواء فى الشرق الأقصى أم فى أمريكا اللاتينية.» (فصيح، ١٩٩٥م: ٢٨٠)

يعتقد الكثير من المفكرين بأن الاستعمار هو نتيجة ما يجرى فى البلد المستعمر ولا فى البلد المستعمر! عدم وجود بنية سياسية واجتماعية حصينة ومقبولة فى البلاد التى لا يحظى الناس فيها بالحرية والاستقلال من أهم دلائل وقوع ظاهرة الاستعمار. فى مثل هذه البلدان لا يهتم الشعب بعقائده ولا يقوم بالدفاع عنها، ولا يختلف عنده هذا الحاكم أو ذاك.

### صورة الآخر الإنكليزى فى الرواية

تتناول رواية "ثريا فى غيبوبة" موضوع الحرب الإيرانية-العراقية، وتقارن إيران بفرنسا، إلا أننا نجد فى بعض صفحات الرواية الإشارة إلى بقية بلدان أوروبا، ومن بينها إنكلترا كرمز للاستعمار الدولى كما ذكر سابقاً، ونرى فى هذه الرواية قسمين من الإيرانيين المهاجرين إلى أوروبا: يشمل القسم الأول الذين بقوا على معتقداتهم وقيمهم الإسلامية والثورية، ويشمل القسم الثانى الذين ساعدوا الجهات الأجنبية والاستخبارات المعادية ضد إيران. إنهم كانوا يحمدون الحرية والرفاهية الموجودة فى الغرب، ولاسيما فى إنكلترا، ويرفضون الآداب والسنن الإيرانية القديمة، ويسمّون إيران بلداً متخلفاً وغير متحضر. وأما الكاتب فقد اتخذ موقفاً موضوعياً بالنسبة لإنكلترا وأبرز خصائصها السلبية والإيجابية. لم يقف فصيح إلى جانب المتغربين، ورفض رؤية المتعصبين، وحاول أن يتخذ موقفاً عادلاً.

يشير الراوى إلى مساعدة الإنكليز العراق، ويبرز غضبه مما فعله الغرب، ولاسيما الإنكليز ضد إيران. وفى الوقت نفسه لا ينسى أن يمجّد الرفاهية والحرية الموجودة فى هذا البلد الأوروبى. فمثلاً تصف "ليلى آزادة" "لندن"، وتوصى "جلال" بأن يسافر إليها

للنزهة:

«هيا نذهب إلى لندن، يومين، ثلاثة... أنا وأنت وخالي الذى وصل حديثاً، وهو غنى، ويريد أن يسافر إلى لندن محبباً. وأنت عارف باللغة، وأهل الحب والصفاء...» (فصيح، ١٩٩٥م: ١٨٠)

### صورة الآخر الألماني في الرواية

يبدو أن الرواى اختار الحديث عن الدول التي كان لها دور في الحرب المفروضة. وبما أن الكاتب كان حاضرا في جنوب إيران إبان الحرب فهو يحكم على أساس موقف الآخر بالنسبة لإيران والحرب. إن ألمانيا ساعدت العراق في الحرب ضد إيران بصورة سرية، كما باعته الأسلحة والقنابل الكيميائية المتطورة، ولكنها لم تشارك في الحرب ضد إيران مباشرة. فلهذا نرى موقف بعض من الأدباء إيجابيا أو منصفا على الأقل بالنسبة لهذا البلد الأوروبي.

ألمانيا من أهم الدول التي يتحدّث راوى "ثريا في غيبوبة" عنها، ونجده يمجّد ألمانيا إلى حد ما، ويؤكد أنّ القانون المسيطر على هذا البلد وظروفه الاجتماعية والاقتصادية المطلوبة تؤدى إلى رغبة الناس فيها دائماً:

«مدينة أشتوتجارت مدينة عظيمة، وسكانها في غاية الانضباط، والإنسان يُسعد بهم، وسكان همبورج راقون أيضاً، وجوها عظيم على وجه الخصوص، ويسعد الإنسان بجو همبورج، وإذا ألقى أحد عقب سيجارة في الطريق في أشتوتجارت أخذ بمخالفة من الشرطة. وفي همبورج وأشتوتجارت سوق رائجة جداً لسجاد إيران، وفي الواقع في هذه البلاد يقدر سكانها قيمة هذا الفن الإيراني الأصيل.» (فصيح، ١٩٩٥م: ٢٠٨)

وهذا شاهد على النظرة الإيرانية الإيجابية للألمان في رواية "ثريا في غيبوبة". ومن الجدير بالذكر أن ألمانيا كانت إحدى الدول التي اتخذت موقفا حياديا إزاء الحرب المفروضة، وحاولت استقرار السلام بين إيران والعراق، كما أقامت علاقات دبلوماسية واقتصادية مع إيران بعد الحرب، وهكذا نظر الإيرانيون إليها نظرة إيجابية

تقريباً.

### صورة الآخر التركي في الرواية

تبدأ القصة بحصول "جلال آريان" على تأشيرة السفر، وتوجهه إلى تركيا عن طريق البر، لكي يستقل طائرة منها إلى "باريس". يريد الراوى (جلال) أن يشير إلى بعض صفات الأتراك، ويشرح ما فعلوه بالمسافرين الإيرانيين حين دخلوا الأراضي التركية، و«هو ينتقد نوعاً ما وضع التفتيش والمعاملة على الجانب الثاني من الحدود، في محاولة للإيحاء بمقارنة، ولكن انتقاده هذا فاتر، فهو لا يشير إلى فظاظة المأمورين الأتراك أو افتعالهم التأخير لابتزاز الرشى من المسافرين.» (عبد الأمير حمدان، ٢٠٠٧م: ٤٦٣) وهكذا يتهم الراوى الأتراك بأخذ الرشوة وسوء معاملة المسافرين، ويرسم صورة سلبية لسلوكهم الأخلاقي وتصرفاتهم.

ومن الجدير بالذكر أن موقف الراوى هذا حول الأتراك يرجع إلى خلفية تاريخية توجد في العلاقات بين الفرس والأتراك. وموقف الراوى السلبي للأتراك لا يرتبط بموقفهم تجاه الحرب؛ لأنهم اختاروا موقفاً حيادياً، وحاولوا أن تستمر علاقاتهم السياسية والتجارية مع إيران والعراق طوال الحرب وبعدها. وتركيا كانت تفكر بحفظ قوتها الاقتصادية وثباتها الداخلى ولا غير.

### صورة الآخر العربى فى الرواية

"الآخر" العربى فى رواية "ثريا فى غيبوبة" يختص بالعراق كما هو شائع فى روايات فصيح، ويرسم الكاتب صورة سلبية لهذا البلد، والراوى يتذكر مذكراته فى "آبادان" من حين لآخر، ويؤكد أن الدمار فى إيران هو نتيجة الحرب التى فرضها العراق عليها بمساعدة الدول الغربية مثل أمريكا، وإنكلترا، وفرنسا وبعض الدول العربية كالسعودية.

ففى مشهد من مشاهد الرواية يشير "جلال" إلى العراقيين ويقول:

«القدرون والمجانين... والملاعين يضربون المدن والشوارع، والمنازل والأبرياء.

تسأل: العرب؟

- الصداميون الكفرة.

- من المقصّر؟ ومع من تحاربون؟ مع السعودية العربية؟

- لا، مع صدام حسين العفلقى الكافر الملعون... سوء حظ الناس الآن أن إيران، بلد الورود والبلايل، حين تتخلص من مشاكل ثورتها، يحكم البلد المجاور مجنون مجرم... مجنون آثم؛ أى فعل لا يقدم عليه إذا حركوه.» (فصيح، ١٩٩٥م: ١١٩)

ويعرض الراوى صورة الآخر العراقى المتجاوز والمحتل والبعيد عن الإنسانية الذى يعمل لصالح الغرب، ويقتل أبناء البلد المجاور، ويدمر مدنها لكى يحتلها. وهذه الصورة نقّشت فى ذهنية الإيرانيين ولم تتغيّر إلا بعد وفاة الرئيس العراقى "صدام حسين". وتعانى الرواية من أخذ ممثلين خواص ومحددین لرسم صورة بلد ما، كما يجعل صدام حسين ممثل بلد العراق، ويعمم الصورة التى يرسم عنه على كل العراقيين!

### صورة الذات فى الرواية

تعدّ دراسة صورة "الآخر" سلوكاً ثقافياً لتقوية إرادة "الأنا" وتعزيز خصوصيته فى نسيج ثقافى عالمى مقابل ادّعاءات "حتمية العولمة" التى تشكّل إرادة اختراق الآخر وسلبه خصوصيته. (الحولى، ٢٠٠٠م: ٣٠٧)

تقدم الرواية، الرؤية التى ترى أنّ جذور المشاكل فى الذات و"الأنا"، كما يؤكد الكاتب والناقد الشهير الإيرانى هوشنك گلشيرى أن هذه الذات هى "الشیطان الداخلى"، وهو موجود فى باطن كل شخص، ولا يُدمّر إلا بواسطة الشخص نفسه. (انظر: گلشيرى، ١٩٧٩م: ١٠)

رسم فصیح فى روايته هذه صورة إيران والإیرانيين، وفى الوقت نفسه تطرق إلى الظروف السائدة فى هذا البلد، وقام بمقارنتها بالظروف السائدة فى فرنسا.

استفاد الكاتب من أسماء رمزية لأبطال الرواية، ولاسيما للإناث، ونذكر منهنّ: أ- "ثريا" رمز إيران الثورة، ولذا أصبغ الكاتب عليها صفات النقاء، والطهارة، والفسداء. إنّ "ثريا" المعنى عليها (الأنا والذات الإيرانية) هى ممثلة إيران، وتتجلى

صورتها إبان الحرب. (ميرعابدینی، ١٩٩٧م: ٩٤٢) "ثريا" الثورة كانت تتشبه بالحياة في بداية غيبوبتها، لكن المصيبة كانت فادحة، فأبقتها بين الموت والحياة، فيحاول أتباعها وأحبائها الأوفياء إتقاذها بكل ما لديهم من مال، وعلم، وجهد، ويرمز المؤلف إليهم بـ"قاسم يزداني".

ب- "فرنجيس" -أخت الراوى- كانت رمزاً لإيران الأم. وهى إيران الأرض الطيبة التى ما انفكت تجرى عليها مُرُّ الأحداث فلا تتغير. هذه الأم المقاومة لمكاره الأيام والمحافظة على التقاليد القديمة. وأما أبناء هذه الأم فقد آثروا البقاء على أرضهم؛ فهم، مع اختلاف أعراقهم، بلغ حبهم لأرضهم حداً ما لم يبلغه للبقاء.

ج- "ليلى آزاده" رمز لإيران المتحضرة التى أحبها الراوى، ومثلت الانطلاق، والشباب، والجمال، والفنّ، كما تقول: «لم يكن عندى هدف ولا إيمان، ولا معيار، ولا قيمة... فقط أفرح، أشرب، أقرأ الشعر وأعشق؛ لأننا نموت بالسرعة.» (فصيح، ١٩٩٥م: ١٤٨)

يقدم الكاتب شخصيتى "حكمت" و"بارسى بور"، وهما كاتبان إيرانيان، يهتمان باللاشئ والموضوعات السخيفة. يجتمعان مع أصدقائهما فى مقهى "مانكيسون" بـ"باريس". فهم عيون الحضارة الإيرانية فى الخارج. هذه الحضارة المهاجرة المثابرة التى تشكو الغربة والاعتراب. ومقابل "حكمت" و"بارسى بور"، وأمثالهما هناك شخصيات إيرانية تسكن جنوب إيران فى مدينة "آبادان"، مثل "مطرود" و"إدريس"، يرفضون ترك ديارهم، ويؤثرون الشهادة على النجاة أذلاء.

تطالعنا المقارنة بين هاتين الفئتين من الذات (الذات العليا، والآخر الداخلى) منذ الصفحات الأولى للرواية حتى نهايتها:

«وأُتحدث مع سيمين عن ميشيجان... وإدريس ابنُ مطرود كان له حب واحد، هو أن يُقبل بين المتطوعين، ويلحق بصفوف محبى الحسين ويعجّل إلى لقاء الله.» (فصيح، ١٩٩٥م: ٢٩٦)

وأما صورة "الأنا" التى رسمها الراوى، إيجابية ومظلومة إلى حد ما. لكن هذه صورة نفسها من وجهة نظر المتقفين المهاجرين إلى خارج البلد -وهم الذين أصيبوا بالحنية

والتقهقر - هي صورة بلد متخلف وضعيف. وفي رأيهم، الوصول إلى ما حصل عليه الغرب واستحالة الذات أمرٌ بعيد أو مستحيل:

«إننا في الأصل جميعاً نعيش على نحو تلقائي! كلنا جميعاً أشقياء ونسخر من أنفسنا. أيّ تمدن وفنّ لنا! لا بد أن نحتسى المرق ونجلس عنوة في زاوية. ننام ونموت.» (فصيح، ١٩٩٥م: ٤١٥)

أتاح فصيح صورة إيجابية ومشرفة للذات الإيرانية مقابل "الآخر" الداخلي و"الآخر" الخارجي اللذين أعطاهما صورة مشوهة ومظلمة.

### النتائج

يبين كاتب "ثريا في غيبوبة" رؤيته الموضوعية للآخر الفرنسي عبر تمييز ثلاث فئات من المهاجرين إليها: فئة تمجد الغرب، وتهاجر إليه بحثاً عن أغراض الحياة المتقدمة والحديثة، وتقع في الحيرة بين التراث والحداثة. والفئة الثانية تتجلى في شخصية "قاسم يزداني"، الذي يرى الغرب ذليلاً وحقيراً، ويريد أن يأخذ عنه العلوم والتكنولوجيا فحسب، ولا شيء آخر. وأما الراوي "جلال آريان" فيُعدّ من الفئة الثالثة، حيث ينتقد الكل، ويسخر من الكل، ويدين الكل دون أن نعرف ما يريد من "الآخر" ومن الذات! فقد رسمت رواية "ثريا في غيبوبة" صورة متوازنة للآخر الإنكليزي. يشير فصيح إلى الحرية والرفاهية الموجودة في بعض البلدان الأوروبية مثل إنكلترا. هذه الرؤية المتأرجحة بين الواقع والخيال، بين الإيجاب والسلب ترجع إلى مرجعية ذهنية للإيرانيين بالنسبة لها ولم يستطع الكاتب أن يخلص نفسه من الصورة التي نسجت في ذاكرة الشعب التاريخية للغرب، ولا سيما إنكلترا.

تتجلى رؤية الكاتب السلبية حول الآخر التركي في رواية "ثريا في غيبوبة"، وينتقد الراوي إجراءات التفتيش ومعاملة الأتراك مع الإيرانيين، ويتهمهم بأخذ الرشوة وفضاظة السلوك.

ألمانيا من أهمّ الدول التي ينظر إليها الراوي بنظرة إيجابية ويمجد ظروفها الاجتماعية والاقتصادية المطلوبة.

أما بالنسبة للعراقيين فقد رسم الكاتب صورة سلبية ومشوهة لهم، وأكد أن السبب الرئيس في الدمار والتخلف في إيران هو الحرب التي فرضها العراق على إيران بمساعدة الدول الغربية، وبعض الدول العربية.

تحمل الرواية صورة سلبية لأمريكا؛ فقد جاء الحديث عن البطلة السوداء الأمريكية ليُرسَم موقف الراوي السلبي من هذا "الآخر".

وفي الدراسة هناك إشارات إلى الذات الناظرة و سماتها و نقدها من خلال تسليط الضوء على السمات السلبية للشخصيات التي تروى عنها؛ فهي عاجزة عن إثبات هويتها والدفاع عن نفسها.

## المصادر والمراجع الكتب

باجو، دانييل. (١٩٩٧م). الأدب العام المقارن. ترجمة: غسان السيد. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.  
حمدان، سليم عبدالأمير. (٢٠٠٧م). قراءات في الرواية الإيرانية. دمشق: وزارة الثقافة السورية.  
حنيف، محمد. (٢٠٠٧م). جنگ از سه دیدگاه (الحرب من ثلاث رؤى). ط ١. طهران: صرير.  
الحولى، أسامة أمين. (٢٠٠٠م). العرب والعولمة. الطبعة الثالثة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.  
عبود، عبده وآخرون. (٢٠٠١م). الأدب المقارن مدخلات نظرية ونصوص ودراسات تطبيقية. ط ١. دمشق: جامعة دمشق.

عبود، عبده. (١٩٩٢م). الأدب المقارن مدخل نظري ودراسات تطبيقية. حمص: جامعة البعث.  
فصيح، إسماعيل. (١٩٩٥م). ثريا في غيبوبة. ترجمة: محمد علاء الدين منصور. القاهرة: دار المجلس الأعلى للثقافة.

قانون پرور، محمدرضا. (٢٠٠٥م). در آینه ایرانی؛ تصویر غرب و غربیها در داستان ایرانی (في المرأة الإيرانية؛ صورة الغرب والغربيين في القصة الإيرانية). ترجمة: مهدي نجف زاده. طهران: فرهنگ گفتمان.

كاظم، نادر. (٢٠٠٤م). تمثيلات الآخر. صورة السود في المتخيل العربي الوسيط. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات.

مجموعة من المقارنين الفرنسيين. (١٩٩٩م). الوجيز في الأدب المقارن. بإشراف: بيير برونيل و إيف شيفريل. ترجمة: غسان السيد. لامك: لانا.

ميرعابدینی، حسن. (١٩٩٧م). صد سال داستان نویسی ایران (مئة عام من كتابة القصة الإيرانية).

ط ٥. طهران: نشر چشمه.

### الدوريات

عمود، عبده. (شباط ٢٠٠٣م). «الأدب وحوار الحضارات». مجلة المعرفة. العدد ٤٧٣.  
گلشیری، هوشنگ. (آب ١٩٧٩م). «گفتگو با هوشنگ گلشیری (حوار مع هوشنگ گلشیری)». مجلة  
آيندگان.